خطبة صلاة الجمعة 22/ 3/ 2019 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(كيف أخدُم ديني؟)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: 13].

وقال سبحانه: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ﴾ [يونس:٨٣]، قال ابن كثير: هم الشباب.

أخرج الحاكم والبيهقي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك**».

نحن في الخطبة الثامنة والعشرين من سلسلة هموم الشباب.

عنوان خطبة اليوم: **كيف أخدُم ديني؟**

أيها الإخوة:

يقرأ شبابُنا ويسمعون عن صراع الحق والباطل في هذه الأرض، وعن مداولة الأيام بين أهل الرشاد وأهل الفساد، وعن تربُّص الفُجّار بالأخيار.

يقرأ شبابُنا ويسمعون عن سرعة انتشار الإسلام في العالم، وعن دخول كبار القوم من غير المسلمين في الإسلام، وعن مساجد جديدة ترفع مآذنها في قارات العالم أجمع.

يقرأ شبابُنا ويسمعون أن (كل مسلم داعيةٌ إلى دينه)، وأن الدعوة إلى الله تعالى بمعناها العام واجبُ كلِّ مسلمٍ ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: 125].

يقرأ شبابُنا ويسمعون أنّ خدمة الإسلام شرفٌ ما بعده شرف، وعزٌّ ما بعده عز، ورفعةُ درجات وعلوُ منزلة، وسيرٌ وراء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

يقرأ شبابُنا ويسمعون أنّ خدمة الإسلام ليست مقصورة على العلماء والفقهاء والمحدثين، وليست حكراً على الأغنياء والموسرين، إنها باب مفتوح لكل مسلم ومسلمة، والناس ما بين مُقلّ ومستكثر!.

يقرأ شبابُنا ويسمعون أن الطُّفَيْل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه أسلم ثم رجع إلى قومه، فلم يزل يدعوهم إلى الإسلام، ويبطئون عليه إلى أن وفد بسبعين أو ثمانين بيتاً من قومه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم مسلمون.

يقرأ شبابُنا ويسمعون عن سيدنا مصعب بن عمير رضي الله عنه يرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم سفيراً للإسلام إلى المدينة قبل الهجرة؛ فيدخلها وليس فيها سوى اثني عشر مسلماً هم الذين بايعوا النبي بيعة العقبة الأولى، يفقه أهلها ويقرئهم القرآن، فلم يكد يتمُّ بينهم بضعة أشهر حتى أرسل للنبي صلى الله عليه وسلم وفداً منهم ليبايعه بيعة العقبة الثانية جاوز عدد أعضائه سبعين مؤمناً ومؤمنة، ثم لم تمض سنة بعدها حتى سمع بالإسلام كل بيت من بيوت المدينة.

يقرأ شبابُنا ويسمعون أنّ الدعوة إلى الله تعالى هي وظيفة المرسلين وأتباعهم، وأنها أشرف مقامات العبد وأجلها وأفضلها، قال مالك بن دينار: (إن صدور المؤمنين تغلي بأعمال البر وإن صدور الفجار تغلي بأعمال الفجور، والله تعالى يرى همومكم، فانظروا ما همومكم رحمكم الله).

فيسأل أحدهم كيف أخدُم ديني؟ وللإجابة على هذا السؤال أعددتُ هذه الخطبة.

أقول مستعينا بالله تعالى:

تخدم دينك بثلاثة أمور:

أولها: أعدَّ نفسَك لتكون داعية إلى الإسلام:

وقد سبق في خطبة مضت من هذه السلسلة أنّك تُعدّ نفسَك لتصير داعيةً إلى الإسلام بزيادة صلتك بالله تعالى، وبزيادة مادتك العلمية الشرعية والكونية، وبزيادة مادتك الأخلاقية، وبصحبتك الدعاةَ العاملين.

ثانيها: كُنْ إسلاماً يمشي على الأرض:

فبحسن المعاملة وطيب المعاشرة والصدق في الحديث والالتزام بالعهود وإعطاء كل ذي حقه، تؤثّر بمن حولك من دون أن تشعر، وتحببهم بدينك من دون أن تدري.

يتأثّر الناس بما يرون أكثر من تأثرهم بما يسمعون، والناس من حولك يلاحظون تعاملك مع ربك، ثم مع نفسك ووالديك وزوجتك وأبنائك وجيرانك، إنهم يراقبون معاملتك مع من حولك في المسجد وفي الطريق وفي العمل.

"الأموتو" طائفة دينية، هي واحدة من الأديان الكبرى في اليابان، التقى عدد من زعماء هذه الطائفة الشيخ أحمد كفتارو رحمه الله تعالى وسمعوا منه حديثاً طويلاً عن الإسلام، زاروا دمشق وأعلنوا فيها إسلامهم، وفي مجتمع حافل في مجمع الشيخ أحمد كفتارو نطقوا بالشهادتين، وارتج المسجد بالتكبير والبكاء، والقى القوم كلماتهم، وكنتُ ممن حضر ذلك المجلس المهيب، سأل المترجم أحد أفرادهم، ما أكثر ما لفتك وأثر فيك في الشيخ كفتارو؟ وكنتُ كما الحاضرين أظن أنه سيقول أسلوبه أو مادته العلمية أو سعة اطلاعه أو نحو ذلك، لكنه فاجأنا بالقول: لقد مشيت مع الشيخ إلى صنبور الماء ليتوضأ، ولفتني وأثر فيّ أنه عندما أنهى مسح رأسه ثم أراد أن يغسل قدمه أغلق صنبور الماء إلى أن وصلت قدمه تحت الصنبور فعاد وفتحه! إنه عالم يحافظ على الموارد الطبيعية ولا يهدرها، وهذا ما يعلمه الإسلام لأتباعه.

إن الناس يراقبون تعاملك مع من حولك، ويختبرونك في تطبيق ما تعتقده، فإذا أردت أن تخدُم دينك فكن إسلاماً يمشي على الأرض.

أخرج البيهقي في السنن الكبرى والحاكم في المستدرك عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: إن الله تبارك وتعالى لما أراد هُدى زيد بن سُعنة قال زيد بن سُعْنة: ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه محمد صلى الله عليه وسلم حين نظرت إليه؛ إلا شيئين لم أخْبُرهما منه: يسبق حلمُه جهلَه ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً، فكنت ألطف به لئن أخالطه فاعرف حلمه، قال زيد بن سعنة : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً من الحجرات ومعه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأتاه رجل على راحلته كالبدوي فقال: يا رسول الله إن بصرى قرية بني فلان قد أسلموا ودخلوا في الإسلام وكنت حدثتهم إن أسلموا أتاهم الرزق رغداً وقد أصابتهم سنة وشدة وقحوط من الغيث، فأنا أخشى يا رسول الله أن يخرجوا من الإسلام طمعاً كما دخلوا فيه طمعاً، فإن رأيت أن ترسل إليهم بشيء تعينهم به فعلت، فنظر إلى رجل إلى جانبه أراه علياً رضي الله عنه فقال: يا رسول ما بقي منه شيء، قال زيد بن سعنة: فدنوت إليه فقلت: يا محمد هل لك أن تبيعني تمراً معلوماً من حائط بني فلان

إلى أجل كذا و كذا، فقال: لا يا يهودي، ولكن أبيعك تمراً معلوماً إلى أجل كذا وكذا ولا أسمي حائط بني فلان، فقلت: نعم، فبايعني فأطلقت هميانى فأعطيته ثمانين مثقالاً من ذهب في تمر معلوم إلى أجل كذا وكذا، فأعطاها الرجل فقال: اعدل عليهم وأعنهم بها، فقال زيد بن سعنة: فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاثة أتيته فأخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت إليه بوجه غليظ فقلت له: اقضني يا محمد حقي، فوالله ما علمتكم بني عبد المطلب لمِطَالٌ، لقد كان لي بمخالطتكم علم، ونظرت إلى عمر فإذا عيناه تدوران في وجهه كالفَلَك المستدير ثم رماني ببصره فقال: يا عدو الله! أتقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسمع وتصنع به ما أرى؟ فوالله الذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر فَوتَه لضربت بسيفي رأسك! ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة وتبسم ثم قال: يا عمر، أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا، أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن التِّبَاعَة، اذهب به يا عمر فأعطه حقه وزده عشرين صاعاً من تمر، فقلت: ما هذه الزيادة يا عمر؟ قال: أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أزيدك مكان ما روعتك، قلت: أتعرفني يا عمر؟ قال: لا من أنت؟ قلت: زيد بن سعنة، قال: الحبر؟ قلت: الحبر، قال: فما دعاك أن فعلت برسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعلت وقلت له ما قلت له، قال زيد: يا عمر لم يكن له من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفته في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً، فقد اختبرتهما، فأشهدك يا عمر أني قد رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً، وأشهدك أن شطر مالي –فإني أكثرهم مالاً– صدقة على أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فقال عمر رضي الله عنه: أو على بعضهم فإنك لا تسعهم، قلت: أو على بعضهم، فرجع زيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال زيد: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وآمن به وصدقه وبايعه وشهد معه مشاهد كثيرة ثم توفي زيد في غزوة تبوك مقبلاً غير مدبر.

إنّ الناس يرقبون تعاملك مع من حولك، ويختبرونك في تطبيق ما تعتقده، فإذا أردت أن تخدُم دينك فكن إسلاماً يمشي على الأرض.

ثالثها: بلّغ الآخرين ما تعرفه عن الإسلام:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: 67]، ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (21) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: 21، 22]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**بلغوا عني ولو آية**» [البخاري]، «**ارجعوا إلى أهليكم فعلموهم**» [البخاري].

واجعل بلاغك مبيناً جميلاً حكيماً، تخلط فيه بين العقل والروح، وبين الجِد والطرافة، وبين القلة والكثرة، وقد تفعل ذلك في بيتك أو مدرستك أو جامعتك أو متجرك أو مشفاك أو معملك.

والوسائل في هذا كثيرة: فالمنبر، والصحيفة، والمجلة، والكتاب، ومواقع التواصل، والمحاضرة، وغيرها.

وقد توفر في هذا الزمن ما لم يتوفر من الوسائل والوسائط والسبل فيما سبق، فالحجة قائمة والرسالة خالدة، فأين العاملون؟!.

وبعد أيها الشباب:

هذا واحد من همومكم: كيف أخدُم ديني؟ وهذا جوابي لكم عليه:

1- أعدّ نفسك لتكون داعيةً إلى الإسلام.

2- كنْ إسلاماً يمشي على الأرض.

3- بلغ الآخرين ما تعرفه عن الإسلام.

اللهم استخدمنا في خدمة دينك ونشر رسالتك وتعليم سنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم، واجعل كلَّ شاب من شبابنا وفتياتنا داعياً إليك بإذنك وسراجاً منيراً.

والحمد لله رب العالمين